الدكتورة: خيرة بورنان السنة الثانية: قسم الفلسفة

محاضرات في مقياس: فلسفة التأويل
في العصور الوسطى

المحاضرة رقم: 01

فلسفة التأويل
(مدخل مفاهيمي)

تمهيد:

هل نحن نتحدث عن التأويل أم فن التأويل أو نظرية التأويل، أو فلسفة التأويل. يكشف هذا التساؤل البسيط في مبناه، عن إشكالية حقيقية تتعلق بالمصطلح في حد ذاته؛ عم نتحدث؟ لعل الاقتراب من المصطلح في دلالته الأجنبية، سيكون معينا لنا على فهم المصطلح في بيئته الغربية، وبالمثل الاطلاع على المصطلح أو ما يقبله في اللسان العربي ـ كما سنتطرق له في محاضرة لاحقة ـ قبل أن يتم تعريب كلمة الهيرمينوطيقا ودخولها الاستعمال اللُغوي العربي[1].

أولا: الأصول الإتيمولوجية للهرمنيوطيقا

تجمع المعاجم المتخصصة والموسوعات الغربية على الأصل الإغريقي لمصطلح هرمنيوطيقاHerméneutique ، برغم الاختلاف حول الجذر اللغوي للمصطلح، فبعضهم يرى أن الهيرمينوطيقا مشتق من الفعل اليوناني « Hermenevein » مؤنثه"هرمينيا"« Herminia» ، في حين يرى آخرون أن المصطلح مأخوذ من «Hermeneutikikos » بمعنى التوضيح وإزالة الغموض من

[1]– بالرجوع إلى الكتابات العربية الكثيرة، التي تطرقت لدراسة هذا الموضوع، نجدها تتعرض لعملية تلقي هذا المصطلح في الثقافة العربية، وأهم المبررات التي يسوقها مستخدمي مصطلح الهرمينوطيقا، أو ما يقابل (كنظرية التأويل ـ فن التأويل(محمد شوقي الزين) ـ التأويلية ـ علم التأويل ـ نظرية التفسير ـ التأويل ـ التأويليات). ويزداد الأمر الحاحا في طلب التبرير، هو حضور مصطلح التأويل في اللغة كمصطلح أصيل، مرتبط بتأويل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

الموضوع[2]. وبالمثل يكاد الاجماع ينعقد على الصلة بين المصطلح "هيرمينوطيقا" وهرمس ـ كما سنرى لاحقا ــ إلا أن غادمير يستبعد هذه الصلة، ذلك أن الاتكاء على مجرد التقارب بين حروف كلمة هيرمنيوطيقا وهرمس وتأسيس الارتباط المعرفي بينهما يعتبر مغامرة، يقول: « نجد في الاستعمال القديم للفظ نوعاً من الالتباس، فقد اعتبر هرمس Hermes رسول الآلهة إلى البشر، كما أنّ الأوصاف التي دلّ عليها هوميروس تظهر غالباً أنّ هرمس يبلّغ حرفياً وينجز كاملاً ما وُكّل بتبليغه. لا توجد دون شك أيّة صيغة لفهم التقارب بين فن التأويل والفن التكهني». هرمس لا يمتلك القدرة على التفسير. في مقابل هذا يؤكد غادامير أن المصطلح يدل على التفسير، يقول:« هكذا تطور المعنى المعرفي لـ" Hermeneias" و" Hermeneus" في الهيلينية المتأخرة ليدل على التفسير العلمي أو المؤوّل المترجم»[3]. ويذهب جون غرودان إلى القول بأن كلمة هرمنيوطيقاHerméneutique ترجع في أصلها اللُّغوي إلى الفعل اليوناني (Hermeneuein). وهو فعل يحتوي في دلالته الإتيمولوجية على ثلاثة معاني:

- يدل في المعنى الأوَّل على فعل القول، الافصاح والابلاغ،
- و يدل في المعنى الثاني على معنى الإيضاح والشرح والتفسير،
- و يدل في المعنى الثالث عن معنى الترجمة والنقل[4].

أ/ الهيرمينوطيقا بمعنى القول، تدل في هذا المعنى عن كل منطوق يكشف عن المتواري والكامن، ويفصح أو يعبر عن خبايا النفس وسرائر الذات عبر الكلام والتصريح.

ب/ الهيرمينوطيقا بمعنى الإيضاح،

ج/ الهيرمينوطيقا بمعنى الترجمة،

إذا اعتبرنا "الترجمة" شكلا خاصا من أشكال العملية التفسيرية الأساسية الخاصة بالفهم، فإننا ندرك من خلالها كيف تشكل الكلمات رؤيتنا للعالم، وادراكاتنا، حيث يقوم المترجم بدور الوسيط بين عالمين مختلفين، تماما كما هي الحال بالنسبة إلى هرمس مثلا. والجدير بالذكر ان الترجمة والتأويل يأتيان في

_2

_3

_4

اللسان اليوناني على سبيل الترادف، ذلك أن نشاط المؤول Hermeneus هو بالضبط ترجمة (أو نقل وإيضاح) العبارات الغريبة والمبهمة إلى لغة مفهومة من طرف الجميع.

والجدير بالذكر كذلك، أن كلمة "هيرمينوطيقا" Herméneutica لم تر النور إلا في القرن السابع عشر، حين أستخدمها يوهان كونراد دانهاور (1603-1666) Johan. Conrado Dannhawero في أحد أعمال الذي صدر سنة 1654 باللغة اللاتينية تحت عنوان (الهرمينوطيقا المقدسة أو منهج شرح النُّصوص المقدسة). ليشير بها إلى ما كان يسمى قبله فنّ التفسير، أو علم التفسير[5].

_5